

حضور النص المترجم في أدب الأطفال الجزائري

د. غنية دومان

جامعة باتنة

الملخص

اعتمد أدب الأطفال الجزائري في بداياته على الاقتباس والترجمة من التراث الأجنبي، بسبب فقر الساحة الأدبية لنتاج يلي حاجات الطفل. وفي دراستي لهذه الظاهرة ارتأيت أن أرصد حضور النص المترجم في أدب الطفل أولاً كأدب عام، ثم حضور النص المترجم في أدب الأطفال الجزائري كفرع من هذا الأدب مسلطة الضوء على البدايات الأولى للترجمة وأهم النصوص والرواد، ثم تناولت مدى المحافظة على البنية العامة للنص الأول (الأصلي) بعد ترجمته سواء في جانب الشكل أو المضمون، ومدى التزام المترجم الجزائري بقواعد الترجمة في ظل بيئة ثقافية وحضارية واجتماعية مختلفة عن بيئتنا من جهة، ومراعاة الهوية القومية وأطفالنا من جهة أخرى.

المقدمة

يلعب أدب الأطفال دوراً أساسياً في تطوير ملكة الخيال عند الأطفال، فهم من خلال أشكاله المختلفة يستمتعون ويشبعون رغبتهم في القراءة، مما يصل بهم في النهاية إلى اتساع مداركهم وتفجير طاقاتهم وإبداعاتهم. ولا تكون " غاية أدب الأطفال هي إذكاء الخيال عند الصغار فقط، ولكنها تتعداه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية، والنظم السياسية، والتقاليد الاجتماعية، والقيم الدينية والوطنية وإلى توسيع قاموس اللغة عندهم، ومدعم بعادة التفكير المنظم ووصلهم بركب الحضارة والثقافة من حولهم في إطار ممتع، وأسلوب سهل جميل " ⁽¹⁾ سواء من خلال التأليف أو من خلال الترجمة.

Abstract

Nowadays, interest in children's literature has begun in all parts of the Arab world. Many European literatures have been translated and many local books have been written. Moreover, many arts, as children's theater, comic magazines and diverse books have been emerged. Algeria, like the other Arab countries, has recently begun interest in children's literature .

Given the importance of this type of literature, especially in these days in which literary writing movement, in general, and children's literature writing in particular have become active; many of the writers, authors, interested people, beginners and amateurs are writing for children in various topics such as story, drama, poetry and songs, and printing and publishing houses print all what they receive as children's literature.

In light of all this, no serious critical literary study has been conducted on the different types and development of children's literature to refer to it as a focused study should suffice in the field of children's literature.

وتمثل الترجمة بالنسبة للأدباء محاولة جادة وصادقة لإثراء مكتبة الطفل الجزائري بكتب متميزة، لكنها في حالات كثيرة انخرقت عن مهمتها الرئيسية، حيث اتصفت في بداياتها بالفردية، واستمرت على هذا النحو إلى يومنا هذا، دون أن تخضع لرقابة ناقد أو للتنظيم، أو لمنهج علمي محدد، وكل هذا يقودنا إلى عدة إشكاليات متتالية :

— إذا كان المترجم في أدب الأطفال الجزائري أخذ على عاتقه مهمة الانفتاح الثقافي والمعرفي، مسوغا رئيسيا لترجمة — فكيف كانت بدايته؟ وماذا يجب عليه أن يترجم، وما هي التحديات التي تواجه المترجم في ترجمته للأطفال، من الآداب الغربي، من ناحية الموضوع أو المحتوى؟

إن هذا الطرح هو محاولة لتأكيد أهمية الترجمة في أدب الأطفال، فهي تسعى إلى ربط الطفل بالثقافة العالمية، ودفعه للانفتاح على الآخر، كما أنها تمثل رافدا مهما من روافد أدب الأطفال، لذلك تناوله العديد من الباحثين والكتاب في العالم العربي من بينهم د. سمير روجي الفيصل في مقالته: " الترجمة وثقافة الطفل العربي "(2)، فاطمة محمد الحسني في مقالتها " ترجمة كتب الأطفال خيار أسهل وإثراء أسرع "(3)، د. صباح عبد الكريم عيسوي " إشكاليات في ترجمة أدب الأطفال "(4)....

لقد تصورت أن بمقدوري في هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات السابقة من خلال تناول العناصر التالية : مقدمة حول الموضوع.

العنصر الأول :

وعالجت فيه حضور النص المترجم في أدب الأطفال العربي، ركزت فيه على البدايات الأولى لحركة الترجمة في أدب الأطفال العربي وأهم روادها وأهم النصوص المترجمة بطريقة كرونولوجية.

العنصر الثاني :

حضور النص المترجم في أدب الأطفال الجزائري، رصدت فيه أهم رواد الترجمة في أدب الأطفال الجزائري، وسلطة النصوص المترجمة من حيث الكم ومن حيث رواجها، وأهم العوائق التي تواجه المترجم أثناء عملية الترجمة.

العنصر الثالث :

خصصته لعلاقة النص الأصلي (الأول) بالنص المترجم (الثاني) وكيفية المحافظة على البنية الجمالية والأسلوبية للنص الأصلي.

وأخيرا تطرقت إلى التزام المترجم بقواعد الترجمة، أظهرت من خلال هذا العنصر أهم النقائص التي تعاني منها الترجمة في أدب الطفل الجزائري.

كانت غايي في هذا البحث تسليط الضوء على ظاهرة الترجمة في أدب الطفل الجزائري، لذلك اقتضت الدراسة توظيف المنهج التاريخي الذي يرصد أهم مراحل حركة أدب الأطفال في البلاد العربية والجزائر، إضافة إلى المنهج النقدي الذي يكشف عن الخطأ والصواب، ومع هذا فلم ألتزم حدود هذين المنهجين، بل تخطيت النقد أحيانا إلى عرض بعض النماذج لتوضيح ما طرح من إشكاليات نتيجة للترجمة العشوائية.

حضور النص المترجم في أدب الأطفال العربي :

اعتمد أدب الأطفال العربي في بداياته على الاقتباس والترجمة من التراث الأجنبي، رغم أن أدب الأطفال الغربي قد استفاد إلى حد كبير من التراث العربي، وخاصة قصص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة... وغيرها.

من المعروف أن التراث العربي مليء بأشكال التعبير الأدبي — في الأديين الرسمي والشعبي — التي تتوجه إلى مراحل الطفولة في أطوارها المختلفة.

و" أدبنا الموروث لم يهمل الطفل وأدبه في مجال الشعر والنثر، لمسألة الموازنة المصطلحية لأدبيات الطفولة وتحديد مسمى لذلك الجنس المستحدث، يكفينا النتاج الإبداعي للطفل المدون في أمهات كتب التراث العربي، وفي الأدب الشفاهي للطفل الذي تتناقله الأجيال ..."⁽⁵⁾

لكن الاحتكاك القوي بالحضارة الغربية في العصر الحديث فرض التفاعل الثقافي معها، وتسرب إلينا كثير من آثارها في أدب الأطفال، ومن هنا ظهرت فكرة ترجمة هذا الجانب من جوانب الأدب الغربي. وهذا الطرح يقودنا إلى عدة تساؤلات :

لماذا لم يعتمد الكتاب العرب على التراث العربي كرافد لأدب الأطفال وتوجهوا للترجمة ؟ كيف كانت حركة انبعاث الترجمة في أدب الطفل العربي الحديث ؟ ومن رواد هذه الحركة ؟

ظهرت الكتب المترجمة للأطفال بمصر في أوائل عام 1875م، و" كان أول من قدم كتابا مترجما عن اللغة الإنجليزية إلى الأطفال هو رفاعه الطهطاوي الذي كان مسؤولا عن التعليم في ذلك الوقت، وكان مربيا فاضلا، درس في الأزهر، ثم ذهب إلى باريس في أوائل القرن التاسع عشر حيث كان أدب الأطفال قد بلغ أوجه هناك بكتابات (تشارل بيرو charles perraut) وحكاياته"⁽⁶⁾، فبدأ الطهطاوي بترجمة هذه الكتب لأطفال العرب الذين كانوا يعانون الكثير من عدم وجود مثل ذلك الأدب في البلاد العربية، فترجم قصصا تدعى " حكايات الأطفال"، " عقلة الأصبغ".

وتدعيما لهذا الدور الذي لعبه الطهطاوي في بث حركة الترجمة من اللغات الأجنبية، وإعداد الناشئة من العلماء والأدباء، يذكر الكاتب لويس معلوف في كتابه المنجد أن : " على يده تخرج عدة رجال من الأدباء كانوا معه في طليعة النهضة العصرية الأدبية والعلمية، ولقد ترجم بنفسه أو بإشرافه ما يربو على ستمائة كتاب على ما قيل "⁽⁷⁾.

وأعقب محاولة الطهطاوي في بعث حركة الترجمة الأديب المصري محمد عثمان يوسف جلال، "1898م حيث ترجم زهاء مائتي حكاية شعرية من حكايات : لافونتين، ولأن محمد عثمان جلال من المجيدين للفرنسية، فقد تأثر في نظم كتابه " العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ" بلافونتين، وهو يشير إلى ذلك بقوله : " أخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين، وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان، نسق : الصاح والباغم — فاكهة الخلفاء ... وسميتها العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ"⁽⁸⁾، وقد نجح محمد عثمان جلال إلى حد كبير في أن ينقل حكايات الحيوان الخرافية عن لافونتين مبرزاً قدرته الفنية في المحاكاة والتعريب إلى اللغة العربية، " ألبسها ثوب الروح المصرية واللغة العربية القريبة من الاستعمال اليومي، وهذه القدرة لا تتوفر لكثيرين — وقد أجمع النقاد — ومنهم العقاد وغنيمي هلال، أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيها معالم الروح الفرنسية، وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد"⁽⁹⁾، وهكذا بدأ الاهتمام بالترجمة للأطفال تبرز في الأدب العربي، وبدأت تستحوذ على اهتمام الأدباء والتربويين عاملين على توفير الكتاب الأفضل للطفل من حيث الشكل أو المضمون، محاولة منهم في أن يدفعوا كتاب الطفل العربي نحو التقدم والحداثة.

وفي " سنة 1914 م ترجم أحمد خيرت الغندور مجموعة قصص إنجليزية منها : (كنوز سليمان) للمؤلف الإنجليزي (رايدر هاجرد)"⁽¹⁰⁾، كما قام الأب الروحي لأدب الطفل العربي كامل الكيلاني بترجمة القصص العالمية كقصص وليام شيكسبير، وكتبها بلغة مبسطة مفهومة للأطفال، لصقل عواطفهم، وتنمية خيالهم، وتفكيرهم ومواهبهم".

وجاء بعد كامل الكيلاني " حامد القصبي الذي ترجم للأطفال كتباً عن اللغة الإنجليزية وقد اهتمت وزارة المعارف المصرية آنذاك بشراء كتبه ووزعتها على جميع المدارس الابتدائية، والمتوسطة، وكانت أولى كتبه للأطفال بعنوان (التربية بالقصص لمطالعات المدرسة المتزلية)"⁽¹¹⁾.

إن ثقافة الطفل ثقافة خاصة مغايرة لثقافة الكبار، وأن شاركتها في بعض الجوانب، وبما أن المجتمع العربي في بدايات اهتمامه بأدب الأطفال، لم يكن يملك قدراً كبيراً من النصوص الصالحة للطفل خلال تلك الفترة فاستعان بالترجمة، ومن ثمة كانت ندرة النصوص العربية مسوغاً للترجمة للطفل العربي. و"لما نما التأليف أضيف مصوغ آخر هو الانفتاح المعرفي على آداب العالم وعلومه وفنونه، وعدم التقوقع على الذات الثقافية العربية - وما زال مفهوم الانفتاح المعرفي - نظرياً على الأقل - سائداً في المجتمع العربي، مسوغاً رئيسياً للترجمة للطفل العربي"⁽¹²⁾، وهذا أمر مشروع لأن الأمم بدأت تقاس بما تقدمه للأطفال من مادة ثقافية، ومدى مراعاتها لحقوق الطفل لأنه أمل المستقبل، واللبنة الأولى لبناء المجتمع.

وفي العموم لاحظ النقاد أن الترجمة في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، وخصوصاً بعد العام الدولي للطفل 1979م، فقدت عناصر اللغة من روائع وجمال وإحياءات مع المحافظة على الطابع العام للغة العربية عند الأدباء العرب، " ففي الترجمات الأولى كان هناك الحرص واضح على نقاء اللغة العربية ونصها، والتمسك بسننها والتنوع في صورها وحوارها، بل أن الرواد الأوائل اهتموا بالمغالاة في التقيد باللغة العربية، فترجموا نصوص أدب الأطفال الشعرية بلغة راقية يعجز الطفل العربي أحياناً عن التواصل السليم معها، وعلى الرغم من ذلك فإن التأثير اللغوي لهذه النصوص على الطفل العربي بقي إيجابياً... فهي تزيد من حصيلته اللغوية ... أما الترجمات المتأخرة فقد ضمر حرصها على اللغة العربية ..."⁽¹³⁾، وأصبح التقيد بها نسبياً وهو أمر راجع لضعف القدرة اللغوية للمترجم، وأصبحت الألفاظ الدخيلة والهجينة تملأ صفحات الكتب المترجمة نتيجة للقصور اللغوي الذي يعاني منه المترجم في اللغة العربية، بل قد تجده يجيد اللغة الأجنبية التي يترجم عنها أفضل من العربية.

حضور النص المترجم في أدب الأطفال الجزائري :

عانت الجزائر كبقية الدول العربية من ويلات الاستعمار، مما أحرز ظهور النهضة الأدبية بها، وبعد الاستقلال اهتم الأدباء بالكتابة للكبار ومعالجة الظروف الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك، ولاشك أن الترجمات كانت الخيار الأنسب والأسرع، والحل الأفضل لمعالجة ضعف المنتج الأدبي الموجه للطفل، وبداية لتأسيس اللبنة الأولى لكتاب الطفل في الجزائر.

كيف كانت البدايات الأولى للترجمة في الجزائر ؟ وماهي أهم النصوص التي اختارها المترجمون للطفل الجزائري ؟
يخبرنا الدكتور عبد الرزاق بن السبع أن بداية الترجمة في الأدب الجزائري كانت نتيجة اتصاله بالأدب العربي في المشرق، حيث استطاع الجزائريون " الاطلاع على الآداب الغربية المترجمة إلى العربية خصوصاً في مجال القصة المكتوبة للأطفال، وكان من نتائج هذا الاتصال انتشار القصص الغربية المترجمة إلى العربية في الجزائر خصوصاً قصص كامل الكيلاني التي ترجمها من الآداب العالمية المختلفة"⁽¹⁴⁾.

أحب الأطفال الجزائريون تلك القصص، وكان شغفهم بها كبيراً، لتعطشهم لقراءة هذا اللون الأدبي الجديد على الساحة، مما شجع الكتاب والمؤلفين على القيام بترجمة العديد من روائع الآداب العالمية، خاصة الأدب الفرنسي، والانجليزي، "ومن أمثلة هذه القصص المترجمة (سلسلة الفنك) التي صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب والتي ألفها < رومان سيمون > Roman Simon، وترجمها إلى العربية أحمد بوهلال... وقد صدرت من هذه القصص التالية : (الدلفين الصغير يكتشف البحر) ، (الوعل الصغير في

الجلبل)، (الغزالة الصغيرة وحيوانات السهوب المعشبة)، (الفنك الصغير في الوادي)، (المعزة والجديان)، (الأصحاب الأخيار)، (حيوانات تبحث عن الصيف)، (قصة القرد)، (أحسن يا سلحفاة) التي نشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1972 حيث يعتبرها البعض البداية الحقيقية لظهور أولى القصص المنشورة في الجزائر⁽¹⁵⁾.

تعمل الجزائر كبقية الدول العربية اليوم أكثر من أي وقت مضى على تنمية ثقافة الطفل، ويحتل الكتاب مكانا مميزا بالنسبة لهذه الثقافة، وهو يشكل ركيزة من ركائز المعرفة رغم منافسة وسائل الإعلام له، لذلك دفعت بعجلة الترجمة وشجعت الكتاب سواء على مستوى التأليف أو على مستوى النشر، مما أدى إلى حدوث بلبلة وفوضى وكثير من الأخطاء التي تقلل من قيمة المادة المترجمة.

والتسابق إلى نشر القصص والتغاضي عما شابها من الاضطراب لها ما يبررها أثناء البدايات الأولى لتطور أدب الطفل والقصة الطفلية في الجزائر، وربما كان الغرض من هذا التغاضي سببه فقر الساحة من هذه القصص ومحاولة تزويد الطفل بنتائج يلي حاجاته، "ولذلك يمكن للباحث أن يعثر على كثير من القصص — وربما إلى اليوم — تحمل العناوين نفسها ولا يتغير منها أحيانا سوى رسم الغلاف واسم الناشر كقصة (نبيل وشجرة اللوبيا) مجهولة المؤلف، (جاك واللوبيا السحرية) محمد مشعالة، (رضوان واللوبيا السحرية) مجهولة المؤلف، (الشجرة السحرية) محمد مبارك حجازي⁽¹⁶⁾.

وهكذا أصبح واقع الترجمة مغايرا للهدف النظري الموضوع لها، فقد تميزت هذه الترجمة في بداياتها بالفردية واستمرت على هذا النحو دون أن تعرف التنظيم أو تخضع للنقد، أو للمنهج العلمي، مما جعل العشوائية سميتها البارزة، وتجلت هذه العشوائية في الاهتمام الكبير بالنصوص الأدبية القصصية، وكأن الترجمة للطفل الجزائري تعني لدى المترجمين الجزائريين ترجمة القصص والحكايات وحدها، مما جعلها تتصف بالصفة القصصية غائبا.

ولا يقتصر الأمر على ما سبق، فلقد "عمدت الكثير من دور النشر المعروفة إلى إعادة طبع الكثير من القصص المترجمة والمقتبسة من التراث العالمي دون الإشارة إلى مؤلفيها، كما حدث مع المؤسسة الوطنية للكتاب التي نشرت سلسلة (أب كستور وكلها مجهولة المؤلف ثم إعادة طبعها مرة أخرى ضمن سلسلة رياض الأطفال، كما فعلت دار الهدى مع قصة (روبنسون كروز robinson crusoe) الشهيرة⁽¹⁷⁾ للكاتب (دانييل ديفو 1719 Daniel de foe)⁽¹⁸⁾ وأصبحت الساحة اليوم تعج بكثير من القصص العالمي المترجم دون الإشارة إلى الناشر أو المترجم كسلسلة (كان يا ما كان) ومنها قصة (رميدة) (أليس في بلاد العجائب alic's adventure in woderland) للكاتب لويس كارول 1865 lewis carrol⁽¹⁹⁾، (بيضاء الثلج والأقزام السبعة Blancheneige)⁽²⁰⁾ للأخوان يعقوب وفلهلم جريم، رحلات حلفر Gulliver's travels للكاتبة جونتانان سويفت 1726⁽²¹⁾، (الفرسان الثلاثة) (عازف الناي) (مغامرات توم سويري) (روبن هود) والتي عمدت مؤخرًا دار اليمامة للنشر والتوزيع إلى طبعها مجددا ضمن سلسلة "القصص العجيبة" كما حاولت الكاتبة صالحية شريفة إعادة صياغة بعض القصص المترجمة في مجموعة قصصية تحت عنوان "حكيت لي جدتي"، وأهم هذه القصص "ليلي والذئب" le petit chaperon rouge⁽²²⁾ للأخوان يعقوب وفلهلم جريم التي ألفها عام 1812م، "النملة والصرصور، الذئب والعزة الصغرى" كما صاغت قصة البطة القبيحة⁽²³⁾ للكاتب الدنماركي هانس كريستيان أندرسون Hans C. Anderson بطريقتها وأخرجتها في قصتين: (القطيط الأعرج) و(الأرنب الرمادي)، ساعية إلى تغيير ملامح النص الأول مع المحافظة على المغزى العام للقصة.

وهكذا بدأت المحاولات الأولى للترجمة لتعقبها حركة واسعة كونت لطفل الجزائري مكتبة لأبأس بها، ولا بد من ملاحظة أمر مهم وهو أن أغلب القصص المترجمة هي من الآداب الغربية، ولا سيما الأدب الفرنسي والإنجليزي، وقد حرص كتابها

على تنمية الطفل تنمية عقائدية مسيحية أو تنشئته في إطار فلسفات المادية، فكيف واجه المترجمون الجزائريون هذا الخطر الداهم ؟

علاقة النص الأصلي (الأول) بالنص المترجم (الثاني)

أبدت الناشرة والمترجمة السويدية من أصل أردني (منى زريقات هنينغ) قلقها من الطريقة السيئة التي تطال ترجمة الأعمال الأدبية الخاصة بالطفل داخل الوطن العربي، خلال الصالون الدولي للكتاب في الجزائر 2012م، حيث أكدت أنه : "ليس من السهل اختيار الكتب للترجمة لعدة اعتبارات منها الكاتب المترجم، والنص المترجم ونوع العمل، غير أن الكتاب الذي يؤثر فيك ويبعد إليك ذكرياتك هو الكتاب الجمالي بكل ما يحتويه من مفردات ولغة جذابة وساحرة، بغض النظر عن مجال توجهه سواء كتاب شباب أو كتاب طفولة أو أدبي بشكل عام ..."⁽²⁴⁾، فهي بهذا الطرح تؤكد على أن الترجمة الجمالية هي العنصر الأهم والشرط الأساسي لاكتمال البنية الأدبية للنص المترجم.

فهل حافظت الترجمة في أدب الطفل الجزائري على عنصر الجمالية ؟

لقد ترجم أدب الطفل الجزائري عن إحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية غالبا، واللغة الثانية كانت لغة الاستعمار الذي احتل الجزائر، وفرض لغته، وحصر البحوث العلمية الجزائرية في بلاده، ولم يتغير الحال بعد الاستقلال، إذ هيمنت الترجمة من اللغة الفرنسية، لأن مترجمي أدب الطفل تلقوا تعليمهم بها، كما أن العدد القليل من المترجمين من كان يتقن اللغات الأخرى، مما أدى إلى حتمية سيادة الترجمة من الأدب الفرنسي أو كل النصوص المترجمة إليه.

ومن هنا نقول أن هناك نصوصا للأطفال ترجمت عن الفرنسية لكتاب أنجليز وألمان وإسبان وغيرها من الجنسيات، وكان لذلك أثر سلبي وهو أن النصوص ترجمت أول الأمر من لغتها الأصلية إلى الفرنسية، ثم ترجمت من الفرنسية إلى اللغة العربية، و" فقدت بذلك كثيرا من روائعها وجمالها وإيجازاتها ودقتها، ثم فقدتها مرة ثانية بعد انتقالها عبر اللغة الوسيطة"⁽²⁵⁾ إلى الطفل الجزائري.

إن الحذر يسيطر على أدب الطفل المترجم في العالم العربي، وفي الجزائر نظرا لاختلاف الثقافات، لذلك عمل الكتاب المترجمون على صبغ أدب الطفل المترجم بسمات المجتمع الجزائري عن طريق تسطيف محتواه بحذف الإشارات العقيدية والعرقية، ومعالجة ما لا يتفق مع الأخلاق الإسلامية، وذلك بالحذف والإضافة والتعديل والتوضيح والتحسين، لكن " هذا السعي وراء تحقيق أهداف تربوية أو اجتماعية أو سياسية على محتوى الأدب المترجم وعلى قيمته إذ نتج عن أدلة الأدب المترجم إغفال جانب الإمتاع في الأدب وحرمان الطفل من فرصة الاطلاع على الثقافات الأخرى واكتساب قيمة تقبل الاختلاف واحترام الآخر"⁽²⁶⁾ دون المجازفة لأن الترجمة في أدب الأطفال هي أصعب وأخطر منها في أدب البالغين، ففي أدب الأطفال من الصعب على المترجم أن يوصل أفكاره وأهدافه عبر النص المترجم إلى العربية، وأن يلم باهتمامات وميولات هذه الشريحة.

حين يتناول " زوها وشافيت" ترجمة أدب الأطفال، يستخدم مصطلح (حرية التلاعب) يقترح شافيت أنه بوسع مترجم أدب الأطفال أن يسمح لنفسه بتغيير، توسيع أو تقليص النص، بحذف مقاطع منه أو إضافتها إليه طالما أن المترجم يعدل النص ليجعله ملائما ومفهوما بالنسبة للطفل، بمقدور المترجم أن يعدل الحبكة نفسها، الشخصيات، واللغة حسب قدرة الطفل على القراءة والفهم ..."⁽²⁷⁾، وهو يضع لنظريته في الترجمة معيارا أساسيا ينبغي للمترجم أن يعتمد عليه في إنشاء عملية التغيير والتعديل هذه، هو القواعد الأخلاقية التي يتطلبها الأبطال مع مراعاة مستوى استيعابهم من خلال مراحلهم العمرية.

إذا قرأنا قصة "البطة القبيحة" le vilain petit canard للكاتب هانز أندرسون، وهو رائد أدب الأطفال في أوروبا، وتنسم كتاباته بالنظرة الفلسفية، وتنطلق من مجموعة من القيم والمثل الإنسانية العليا، تجذبنا هذه القصة وتشدنا إليها لأنها تعبر عن تجاربنا الحياتية، ولأنها تساعدنا على أن نتقبل أنفسنا كما هي على نقائصها، بجملها وقبحها، خيرها وشرها، لكنها حينما ترجمت في أدب الأطفال الجزائري من طرف عدد من الكتاب تغيرت الشخصيات وتغيرت معها حتى القيمة الأخلاقية التي تحملها القصة فتارة تتحول البطة القبيحة⁽²⁸⁾ إلى "القطيط الأعرج"⁽²⁹⁾، لكنها تحافظ على سمتها الشكلية وهي اللون الرمادي والسمة الاجتماعية وهي العائلة من الأم والإخوة، وتارة أخرى تتحول إلى "الأرنوب الرمادي"⁽³⁰⁾، وتحافظ أيضا على نفس السمات الشكلية والاجتماعية ولكن القيم تتغير، فالشخصيتين (القطيط والأرنوب) هما شخصيتان متمردتان على الجماعة (الأسرة) وتتسمان بالعناد والعقوق، أما (البطة القبيحة) فهي الشخصية التي شعرت باليأس وعدم تقبلها من طرف الآخرين نتيجة قبح منظرها وواجهت العالم الخارجي بخوف وهروب، لكنها استعادت ثقتها بنفسها تدريجيا عند اكتشاف جمالها الداخلي.

وفي القصتين المترجمتين بتغير الشخصيات والحبكة تغيرت القيمة الأخلاقية - الثقة بالنفس - لتتحول إلى قيم أخرى وهي وجوب طاعة الكبير وعدم مخالفة الجماعة والقناعة بما قسمه الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال الدراسة نستنتج أن المترجمين الجزائريين قاموا بمحاولات عدة لتقليص الفجوة المحتملة لترجمة النص حرفيا، وذلك بتقريب النص للبيئة الجزائرية، كما قاموا بتغيير بعض العناصر لتجنب بعض المشاكل الإيديولوجية والعقائدية والثقافية، لكنهم فشلوا في كثير من الأحيان سواء في التخلص من الأفكار والإيديولوجيات الموجهة للقارئ الأجنبي أو من خلال المحافظة على البنية الجمالية للنص الأدبي.

يتأثر الطفل الجزائري بموضوعات الأدب المترجم وقيمه، ويكون هذا التأثير إما إيجابيا يكمن في اطلاع الطفل على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وعلاقة أطفالها بمجتمعهم وأسرهم وأوطانهم مثل قصص (سندريلا) (كان ياماكان) (أليس في بلاد العجائب) (رحلات جليفر) (روبن هود) (الأميرة وحبة البازلاء)....

وهذا ما يغرس لدى الطفل الجزائري مجموعة من القيم المعرفية، والاجتماعية والوطنية والإنسانية، إضافة إلى إشباع رغباته في القراءة ومتعة المطالعة.

أما الجانب السلبي فقد كان في التركيز على العوالم العجيبة والحوار والشخصيات ذات النزعة الفردية والقوة الخارقة مثل قصص (سبيدرمان، الرجل الوطواط، وسوبرمان...) (وإن كانت هذه القصص تنمي خيال الطفل، إلا أنها لا تتفق مع المستوى الإدراكي له، وليست مناسبة له حتى من ناحية المضمون، لأنها تحتوي على عبارات من الفزع والرعب، ولتصويرها مواقف دنيئة).

إن الهدف من النص المترجم هو "الاتصال الثقافي" نقل "الثقافة بل الانتقاء من عناصرها الإيجابية وإثراءها والانعطاف بالقيم والمعايير والمعالى تحقيقا لتلك الأهداف، حيث لم يعد من المناسب انحراف الأطفال ببعض عناصر الثقافة، بل اختيار ما يناسب الطفل، وما يوافق آمال المجتمع، والوصول إلى بناء شخصية متكاملة متوازنة للطفل"⁽³¹⁾، فمثلا في قصة (روبن هود robin hood) هو شخصية إنجليزية برزت في الفلكلور الإنجليزي، تمثل فارسا شجاعا، مهذبا وطائشا خارجا عن القانون، عاش في العصور الوسطى وكان يتمتع ببراعة مذهلة في رشق السهام، وتمثل الأسطورة في العصر الحديث شخصا قام على سلب وسرقة الأغنياء لأجل إطعام الفقراء، بالإضافة إلى ذلك حارب روبن هود الظلم والطغيان، الذي مارسه السلطة ضد فئة الفقراء في المجتمع الإنجليزي، ترجمة هذه القصة بنقل النص كاملا بكل ما يحمله من قيم اجتماعية

وأخلاقية، ومن بين دور النشر التي أصدرته دار العزة والكرامة لنشر الكتاب، وهران، نقلا عن دار الفكر العربي ببلبنان، مجهولة المؤلف.

ومن نتائج ترجمة النص القصصي ونقله بكل ما يحمله من قيم العنف الذي يمارسه الأطفال فيما بينهم سواء في الشارع أو في الأقسام، كما عمد الأطفال إلى إنشاء موقع بعنوان (روبن هود في قسمنا <www.djelfa-info>showtherad) لذلك يجب فرض الرقابة على كل ما يترجم للأطفال من التراث الغربي والعالمي وعدم السماح بنشر غير الصالح منها، نظرا لميل الطفل إلى التقليد وإعجابه بالأبطال، ونظرا لأن ما يقدم من إنتاج قد لا تراعى فيه النواحي التربوية والنفسية، وما يسود مجتمعنا من قيم واتجاهات ومثل عليا.

التزام المترجم بقواعد الترجمة

لاشك أن الترجمة في المجال الأدبي تفتح نافذة على ثقافات الشعوب الأخرى، ولكن في أدب الطفل قد تمثل الترجمة أكثر من هذا، فهي سيف ذو حدين، حيث تسهم في بناء العلاقات الثقافية بين الشعوب وتطويرها على نحو ما حصل في النهضة الأدبية العربية، ومن جهة أخرى هي حرب وغزو ثقافي للقوي على الضعيف والمتخلف في ظل العولمة الراهنة. "بما أن الأدب المترجم للطفل يختلف عن أدب الكبار، لما يجب أن يتوافر فيه من اشتراطات فنية، وأسلوبية، وقيمية، ونفسية، وعمرية، واجتماعية، فإذا كان شرط المرحلة العمرية واحد من أهم الاشتراطات فإن الموائمة الثقافية والحضارية والاجتماعية القيمة تعد الأهم على الإطلاق"⁽³²⁾.

وهذا ما لا يتوفر في الأدب المترجم إلى العربية لأنه كتب في بيئة ثقافية وحضارية تختلف كل الاختلاف عن بيئتنا.

إذن، ما هو سبيل النجاح للارتقاء بترجمة أدب الطفل في ظل المحافظة على الهوية القومية لأطفالنا ؟

بذل المترجمون الجزائريون جهودا مضنية في سبيل الحفاظ على شيء من "التكافؤ الأسلوبي والدلالي والجمالي والرؤيوي بين النص في اللغة المصدر والنص في اللغة الهدف"⁽³³⁾، إلا أنهم وقعوا في إشكاليات عدة أهمها :

- إشكالية الهوية القومية، ومحاولة تشويه الهوية القومية عند الأطفال وجعلهم يقلدون الآخر.
- الإشكالية اللغوية الناتجة عن ضعف الترجمة أو الترجمة إلى العامية أحيانا.
- الإشكالية الأخلاقية والتربوية الناتجة عن نقل قيم مجتمعات تختلف عن القيم التي يتربى عليها الطفل الجزائري، لذلك يجب على المترجم الاعتماد على القواعد التالية التي نعتقد أنها ناجعة للترجمة الجيدة وهي :

1- العمل على تكوين ثقافة أدبية واسعة : ونعني بها الاطلاع على خزائن أدب الطفل العربي والعالمي وكل جيد ومنتقى من القديم والحديث على الساحة الأدبية.

2 — التمكن من اللغة الأجنبية واللغة العربية، مما يساعد المترجم على سلاسة الأسلوب، وتبسيط الأفكار لتناسب الأطفال المقدم لهم النص المترجم.

3 — ضرورة المحافظة عند ترجمة النص وصياغته على القيم الفنية وروح العمل كما ورد في النص الأول، وهذا ما تضمنه الثقافة الأدبية والتمكن من اللغتين (لغة المرسل ولغة المرسل إليه)، والابتعاد على الترجمات السطحية التي تنقل النص نقلا جافا خال من البهجة والحياة والعمل على تحقيق الجمالية والأسلوبية في النص الثاني والتي هي من أهم أهداف أدب الطفل، لأنها تسهم في تكوين جيل أدبي ذواق يقيم النص.

4 — على المترجم أن يحدد الفئة العمرية التي يترجم لها العمل الأدبي، لأن هذا الأمر في غاية الأهمية، فما يناسب مرحلة الطفولة المتقدمة لا يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة (سن المراهقة)، وفي السياق ذاته يحدد الباحث في أدب الأطفال بورتينين أنه : "

على المترجم ألا ينسى الصفات المميزة لقراء الصغار، استيعابهم، وقدرته على القراءة، تجربتهم ومعرفتهم، لكي يتجنب الوصول جليلة الصعوبة أو غير ممتعة، تنفر الأطفال من القراءة " .. فالأسماء الأجنبية، الألقاب، بناء الجمل المعقدة أو التلميحات إلى إرث ثقافي أو معرفة عامة غير مألوفة في الثقافة الهدف... أو بمعنى خلق نص <جديد> مألوف بدل الترجمة "(34).

5 — على المترجم توخي الحذر أثناء عملية الترجمة لما تحمله النصوص المترجمة من الثقافات الأخرى من قيم ومبادئ تنافي قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا، فيجب حذفها أو تغييرها بما يناسب أطفالنا، وينبغي عليه عدم " تجاهل المشكلات التربوية والنفسية التي تسبب بها الأدب المترجم للأطفال لما يحمل من قيم مغايرة بعضها يدعو لتغليب العنف والأخرى سيادة القوة على العدل والعقل والحوار، وطريقة إنهاء المشكلات مع الآخر بالعنف بدلا من قبول الآخر والحوار معه "(35).

إن إعادة صياغة عمل أدبي بعد ترجمته وفق أسلوب وجمالية أدب الطفل العربي ليس بالأمر الهين، ويصور أحد الباحثين هذا الأمر بقوله : " إن على كاتب الأطفال أن يترجم أفكار شخص آخر وأحاسيسه ورؤاه على أساس من أفكار قوم آخرين وأحاسيسهم ورؤاهم في إطار من فكره هو وأحاسيسه ورؤاه ليخرج من هذا أسلوبا يدهش القارئ العادي بسهولة وبساطته، ويبدو كأنها تم بأيسر جهد وأقل عناء "(36)، وهذا لا يتأتى إلا في ما يعرف بـ " الترجمة المحترفة ". وننتهي في خاتمة هذه الدراسة إلى أن النص المترجم في أدب الأطفال الجزائري يعاني كثيرا من التحديات التي تحول دون أدائه للمهمة التعليمية والتثقيفية المنوطة به، وهو بحاجة إلى استراتيجية واضحة تضبط مساره، وتحدد هدفه، وتراقب مستوى اللغة التي يكتب بها، وتضمن انسجامه مع عقيدة الأمة وأخلاقها، وتحافظ - فوق ذلك كله - على مستواه الجمالي الذي يشد انتباه الطفل ويجذبه إليه.

الهوامش والمراجع

- (1) د. محمود حسن إسماعيل : المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2004، ص 48.
- (2) د. سمير روجي الفيصل : الترجمة وثقافة الطفل العربي، مقالة جريدة الشرق الأوسط، العدد 8083، 18 شوال 1421هـ، 14 يناير 2001.
- الموقع : classic.aawsat.com > détail .
- (3) فاطمة محمد الحسيني : " ترجمة كتب الأطفال خيار أسهل وإثراء أسرع " المجلة العربية، ع 417، شوال 1432 هـ.
- الموقع : www.alukaa.net > literature language .
- (4) عبد الكريم عيسوي : إشكاليات في ترجمة أدب الطفل، مقالة www.alyaoum.com.
- (5) د. أحمد زلط : أدب الطفولة، أصوله .. ومفاهيمه.. رواه. الشركة العربية للنشر والتوزيع. ط1، 1990، ص 15.
- (6) د. سميح أبو مغلي : دراسات في أدب الأطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1993.
- (7) لويس معلوف : المنجد في اللغة والأدب، بيروت، 1966، ص 242.
- (8) عامر بخيري : العيون اليواظ في الأمثال والمواعظ، تحقيق/ عن أحمد زلط، أدب الطفولة : أصوله .. مفاهيمه .. رواه. ص 135.
- (9) أحمد سويلم : أطفالنا في عيون الشعراء، دار المعارف، ط1، 1987، ص 152.
- (10) هيفاء خليل شريحة : أدب الأطفال، مركز هيا الثقافي، الأردن، 1978، ص 25.
- (11) د. سميح أبو مغلي : دراسات في أدب الأطفال، ص 19.
- (12) د. سمير روجي الفيصل : الثقافة العربية والترجمة، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8033، يناير 2001.
- (13) المرجع نفسه .
- (14) د. عبد الرزاق بن سبع : قصص الأطفال في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2004، ص 86.
- (15) المرجع نفسه، ص 87.
- (16) د. عبد الرزاق بن سبع : قصص الأطفال في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2004، ص 89.

- (17) المرجع نفسه، ص 89.
- (18) أدب الطفل : موقع <http://ar.mwikipidya.org>.
- (19) المرجع نفسه.
- (20) محمود حسن إسماعيل : المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004م ، ص 27.
- (21) المرجع نفسه، ص 24.
- (22) د. محمود حسن إسماعيل : المرجع في أدب الطفل، ص 27.
- (23) المرجع نفسه، ص 26.
- (24) ترجمة أدب الطفل العربي : النشرة والمترجمة السويدية منى هنينغ في حوار لـ "الفجر الثقافي". www.djazairess.com . www.alfajr.com.
- (25) د. سمير رويحي الفيصل : الترجمة وثقافة الطفل العربي، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8083، 2001م. Archi-ve.aawsat.com.
- (26) د. صباح عبد الكريم عيسوي : إشكاليات في ترجمة أدب الطفل، مقالة www.alyaoum.com.
- (27) ناتاليا فيد : ترجمة أدب الأطفال، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية. www.aldoramagazine.com.
- (28) قصة البطة القبيحة . موقع <http://site.google.com>.
- (29) صالح شريفة : القبط الأعرج، المكتبة الخضراء، الجزائر 2004.
- (30) صالح شريفة : الأرنب الرمادي ، المكتبة الخضراء، الجزائر 2004.
- (31) د. سمير أبو مغلي : دراسات في أدب الأطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1993.
- (32) د. سعد العتايي : الأدب المترجم للأطفال، مقالة ، موقع منتديات فرسان الثقافة، om.faras.com.
- (33) المرجع نفسه.
- (34) ناتاليا فيد : ترجمة أدب الأطفال، مجلة الدوحة، ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية. www.aldoramagazine.com.
- (35) د. سعد العتايي : الأدب المترجم للأطفال، مقالة ، موقع منتديات فرسان الثقافة، om.faras.com.
- (36) أحمد نجيب : فن الكتابة للأطفال، عن أحمد حسن حنورة : أدب الأطفال، ص 57.